الاستعارة والكناية في الأحاديث النبوية الواردة في "الأربعين" للنووي

تونانج[١]

الملخص

إن الاستعارة والكناية من الفنون البلاغية المهمة التي شهدت بهما اللغة العربية وحفل بهما القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف. هذا البحث محاولة جديدة لدراسة الاستعارة والكناية في الحديث النبوي الشريف، حيث شكلت بهما في الحديث ظاهرة أسلوبية، ففيها تتجلى جوامع الكلم. فالاختيار وقع على أحاديث نبوية مختارة من الأربعين للنووي لأنها مرويات مشهورة عن الرواة الكبار والصغار. وسبب اختيار هذا الموضوع هي طبيعة الموضوع نفسها التي تهدف إلى غاية فنية مهمة. إن الاستعارة والكناية من جوهر الكلام البلاغي، حيث يستخرج منهما فهم الكلام ليزيد شوقا وتعظيما وتصديقا لقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) هذا من جهة. ومن جهة أخرى، إن في الحديث النبوي الشريف ثروة لغوية عظيمة لدراستها دراسة بلاغية في مجال الاستعارة والكناية الذي لم يجد حظه المناسب من حيث البحث والدراسة بصورة مستقلة تعطيهما حقهما وتكشف أسرارهما.

الكلمات المفتاحية: الاستعارة، الكناية، فوائد الاستعارة والكناية، الحديث النبوي.

Abstract

The metaphor and metonymy is one of the important rhetorical arts, which is witnessed by Arabic language, the holy Qur'an, and the prophetic Ḥadith. This research is a new attempt to study the metaphor and metonymy in the Prophetic Ḥadith only, as it formed in the Ḥadith a stylistic phenomenon, in which the characteristics of a comprehensive speech are manifested. The choice is based on some of the prophetic Ḥadith that selected from the book: "The forty" authored by al-Imam Nawawi -for the example, but not on the basis of the limitation- because they are famous narrations narrated by the senior and young narrators. The reason for choosing this topic is the nature of the subject itself, which is aimed at an important technical objective. Each of the metaphor and metonymy is the essence of rhetoric in Arabic, where it extracts the understanding of speech to increase the longing, magnification and ratification of the words of the Prophet Muḥammad (peace be upon him) on the one hand. On the other hand, there is a great linguistic wealth in the Ḥadith of the Prophet Muḥammad to study, especially in the field of metaphor and metonymy as the rhetorical study, which did not find the right luck in terms of research and study independently to give them their right and reveal their secrets.

Keywords: Metaphor, Metonymy, Benefits of metaphor and metonymy, the prophetic Ḥadith.

[1] Tonang; Faculty of Fundamentals of Religion, Universitas Islam Negeri Sumatera Utara (UINSU), Medan, Indonesia; E-mail: tonangmedan256@gmail.com

المقدمة

عندما يدقق الباحث أو القارئ النظر في المكتبة العربية أو المقالات العلمية يجد أن الأبحاث والدراسات التي اهتمت بالمزايا الفنية للاستعارة والكناية نادرة في الأحاديث النبوية الشريفة تكاد تكون معدومة. لذا رأيت من المناسب أن أكتب شيئاً في هذا الباب للقارئ تعميماً للفائدة.

فإن هذه المقالة محاولة جادة منطلقة من الأحاديث النبوية الشريفة للكشف عن فن بلاغي يرتكز على الاستعارة والكناية. وبلاغة الرسول (صلى الله عليه وسلم) من وحي الله، وما كان من وحي الله لم ينقص من المقاييس الفنية للإنسان، وإن الرسول كان يؤثر التعبير عن المعنى المجرد بالصورة الحسية من حياة المخاطبين، لأن ذلك أدعى إلى أن يفهموا مراده، ولأن الصورة البيانية لها أهمية بالغة من حيث الخصائص الفنية في الأثر الأدبي.

وقد تناولت في هذا المقال معنى الاستعارة وأنواعها، والكناية وأنواعها، ووجه الشواهد من أحاديث النبي (صلى الله عليه وسلم) في كتاب الأربعين للنووي.

أ. منهج البحث

وأما من ناحية المنهج فقد تتبعت في هذا الموضوع المنهج الوصفي التحليلي الذي يصلح لمثل هذه الموضوعات في الدراسات اللغوية والبلاغية، لأن اللغات والآداب والعلوم البلاغية والدلالية عند العرب من الفنون القولية أو التعبيرية، والمواضيع التي تتعلق بهذه الفنون كلها تحتاج إلى تقسيم أجزاء الكلام أو تحليلها ثم دراسة كل جزء منها ووصفه أو شرحه أو تعليله. من المعلوم أن الوصف والتحليل والتعليل من مواصفات جوهرية للمنهج الوصفي التحليلي.

ب. أسئلة البحث

١. ما الاستعارة وأنواعها؟
٢. ما الكناية وأنواعها؟
٣. ما خصائصهما الفنية في البلاغة العربية؟
٤. ما الفوائد من معرفة الاستعارة والكناية في الكلام عامة؟
٥. ما الفوائد من معرفتهما في الحديث النبوي الشريف خاصة؟
٦. ما الأمثلة والشواهد الإستعارة والكناية في الأربعين النووي؟

أولا: التعريف بالاستعارة وأنواعها

الاستعارة قد عرّفها كثير من الأدباء والبلغاء، كالجاحظ والجرجاني، وكلّ أقوالهم في ما يتعلّق فيها تتلخّص في أنَّها استعمال كلمة أو معنى لغير ما وُضِعت به، أو جاءت له لشبه بينهما؛ بهدف التوسُّع في الفكرة،

أو هي تشبيه حُذِف أحدُ أركانه، كقول الحجّاج: "إنّي أرى رؤوساً قد أينعت وحان قِطافها"؛ إذ تُستخدم كلمتا أينعت، والقِطاف للنبات وليس للإنسان، وقد حذف هنا المشبه به وهو الثمر [١].

تتنوع **الاستعارة** إلى ثلاثة أنواع، منها [٢]:

١. **الاستعارة التصريحيّة:** وهي ما ذُكر فيها، أو صُرّح فيها بلفظ المشبَّه به، أو ما استُعير فيها لفظ المشبَّه به للمُشبَّه، ومثاله قول الله تعالى: ﴿كِتابٌ أَنزَلناهُ إِلَيكَ لِتُخرِجَ النّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النّورِ﴾[٣] وقد استُعمِلت كلمتا الظُّلُمات والنور، لتدلّا على الضّلال والنور، وقد حُذِف المشبَّه واستُعِير بدلاً منه المشبَّه به؛ ولأنّ المشبَّه صُرّح به فهي استعارة تصريحيّة، والقرينة حاليّة تُفهم من المعنى.

٢. **الاستعارة المكنيّة:** وهي التي حُذِف فيها المشبَّه به، أو المستعار منه، ورُمِز له بشيء من لوازمه، وكقول الله تعالى: "وَاشتَعَلَ الرَّأسُ شَيبًا"[٤] فقد شُبِّه الرأس بالوقود، وحُذِف المشبّه به، ورُمِز إليه بشيء من لوازمه وهو الاشتعال، فالمستعار منه هو النار، والمستعار له الشَّيب، والمعنى الذي يجمع بينهما هو انبساط النار.

٣. **الاستعارة التمثيلية:** تأتي هذه الاستعارة في حال حذف المشبه والتصريح بالمشبه به مع عدم الاحتفاظ بالكلمات والأشكال كما هي دون إجراء أي تغيير. مثل كما كتب الوليد بن يزيد إلى مروان بن محمد: (أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى)[٥] ونعني بذلك أن حالة في تردده في الإقدام على أمرٍ ما حال من يقدم رجلاً ويؤخر أخرى. فالمشبه به مصرح به وهو (من يقدم رجل ويؤخر أخرى) والمشبه محذوف ونقدره (الإنسان المتردد).

ثانيا: التعريف بالكناية وأقسامها

أسلوب الكناية في البلاغة العربية من أهم الأسباب التي يلجأ إليها الأدباء لتحقيق الغايات في الكلام من محاولة إخفاء المعنى الصريح الذي يجنبه كثير مما يخشون التصريح به أو مما لا يرضونه في عباراتهم من الفحش والابتذال وهو في الوقت نفسه يثير الشوق في نفس القارئ والسامع فيجد كل منهما المتعة الفنية التي يصل إليها بعد البحث والتأمل فيظل أثرها باقيا في نفسه ويبقى الاستماع بها طويلا.

---

[١] عتيق. عبد العزيز. (١٩٨٥). علم البيان. بيروت: دار النهضة العربية. ج٢. ص ١٧٥.

[٢] النقراط. عبد الله. (٢٠٠٣). الشامل في اللغة العربية. ليبيا: دار الكتب الوطنية. (الطبعة الأولى). ص ١٥٦-١٥٧.

[٣] سورة إبراهيم،آية:١.

[٤] سورة إبراهيم، آية: ٤.

[٥] الخفاجي الحلبي. الأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان. (١٩٨٢). سر الفصاحة. بيروت: دار الكتب العلمية. ج١. ص ٢٣٣.

وعند النظر والتأمل في دقة مأخذ الكناية نجدها في غاية الروعة وحسن الأداء، ففي قوله عز وجل مثلا: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ [١]، كناية عن الجماع، فيجوز حملها على الحقيقة والمجاز، فعلى الحقيقة فالمعنى ظاهر، وعلى المجاز يكون هو المعنى الذي عليه الآية والعجيب صحة حمل اللفظ على هذا المعنى.

وقال الجرجاني في تعريف الكناية: "إن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيوحي به إليه ويجعله دليلا عليه"[٢].

وقال الخطيب القزويني: "هي لفظ أريد به لازم معناه عن جواز إرادة معناه حينئذ"[٣].

وهنالك من يعد الكناية على أنه مجاز والفرق واضح وبين، إذ أن الكناية فيها نوع عدول عن الأصل والحقيقة فإنها إذا وردت في الكلام تجاد بها جانبا الحقيقة والمجاز، والمعنى هو أن الكناية وإن كان الغالب أن المتكلم يريد فيها لازم اللفظ فإنه يصح حمل اللفظ على المعنى الأصل ولا يختل كما صح عند حملنا إياه على المعنى الكنائي وكما يجوز الكناية على المعنيين فإن المجاز لا يجوز حمل لفظه على معنى الحقيقة بل في مجرى المجاز واللفظ فيها صريح بالمجاز.

وقد قسم علماء البلاغة الكناية إلى أقسام عدة مختلفة، فقسموها باعتبار القرب أو البعد والذي سوف أسير عليه التقسيم باعتبار المكنى عنه وهو محل الاهتمام والمدارسة لكثير من البلاغيين [٤].

القسم الأول: كناية عن الصفة

وهي التي يكون فيها اللفظ المكنى به دالا على صفة مقصورة في اللفظ المكنى به، ومن مثلها قوله (صلى الله عليه وسلم): "أنا آخذ بحجزكم عن النار"[٥]، فالحجز مقعد للإزار، وهو المعنى القريب الظاهر، وهو غير مراد. والمعنى البعيد المراد هو المنع والصد، فهو كناية عن الصفة.

القسم الثاني: كناية عن الموصوف

وهي التي يكون اللفظ المكنى به دالا على موصوف معين ويشترط أن تكون الكناية مختصة بالمكنى عنه لا تتعداه حتى يحصل الانتقال منه إليه، ومن شواهده قول الرسول الله (صلى الله عليه وسلم): "إذا

---

[١] سورة البقرة، آية: ١٨٧.

[٢] الجرجاني. عبد القاهر. (١٣٩٨هـ). دلائل الإعجاز. الرياض: طبعة دار المعارف. ص ٥٢.

[٣] الخطيب القزوين. (١٩٩٨). الإيضاح في علوم البلاغة. ت: الشيخ بهيج غزاوي. الناشر دار إحياء العلوم. ص/٣٣.

[٤] القزويني. الخطيب. الإيضاح في علوم البلاغة. ص ٣٣٠.

[٥] النيسابوري. مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري. صحيح مسلم. بيروت: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. الناشر: دار إحياء التراث العربي. رقم الحديث: ٢٢٨٤. ج٣. ص ١٧٨٩.

استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمسن يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثا فإنه لا يدري أين باتت يده"[١]. ففي هذا الحديث المعنى القريب الظاهر وغير المراد النهي عن إدخال اليد في الإناء بعد النوم حتى يغسلها ثلاثا وعلق السبب على المعنى البعيد الخفي وهو الكناية ثم قال لا يدري أين باتت يده كناية عن (وجود مكان النجاسة) ولا يستباح ذكر هذا الموصوف الذي كنى به النبي (عليه الصلاة السلام) تجنبا للفحش واختصار للقول.

القسم الثالث: كناية عن نسبة

ويقصد به إثبات حق لموصوف معين أو نفيه عنه بطريق غير مباشر وإنما بشيء يتعلق به ومن شواهدها: قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة"[٢]. أراد النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يؤكد للمسلم أن حفظه للسانه وفرجه سببان مهمان للدخول في الجنة وهو بذلك عمد إلى التلميح بدلا عن التصريح، والمعنى البليغ هنا ترك كل ما يخرج من اللسان من الكذب والغيبة والنميمة والكلام الفاحش كنى عنه بلحييه وما قد يقع في من الآثام والفجور كنى عنه بفخذيه والملاحظ هنا أنه أثبت الصفة لما هو له مرتين ونسبها إلى ما يتصل به ويرتط به ولما فيه من العدول عما يستقبح ذكره صريحا.

القسم الرابع: كناية التمثيل

وهي أن ترد الكناية بمعان مماثلة ومشابهة للمكنى عنه ويطلقها عليه وفيه يصور المتكلم المعقول بصورة محسوسة وقبل أن توضع ألفاظ تدل على معنى آخر وتكون تلك الألفاظ، وذلك المعنى مثالا للمعنى الذي قصدت الإشارة إليه والعبارة عنه. ومثل كناية بالتمثيل قوله (صلى الله عليه وسلم) "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين"[٣]، وبجانب البلاغة في هذا الحديث وإيجاز عباراته وكثرة دلالاته فحمل معناه على الظاهر وارد إذ إن المؤمن لا يدخل يده في جحر سبق أن آذاه وهذا هو المعنى القريب وهو معنى غير مراد. والمعنى البعيد والخفي فهو أن المؤمن الممدوح هو الكيس الحازم الذي لا يستغفل بل هو فطن أريب لا يخدع ولا يراد من اللفظ الخفي والجحر ولا يراد العدد ولا يراد اللدغ بل أبعد قصدا من ذلك.

---

[١] النيسابوري. مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري. صحيح مسلم. رقم الحديث: ٢٧٨، ج١. ص ٢٣٣.

[٢] البخاري. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي. صحيح البخاري. بيروت: ت: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة، جامعة دمشق. الناشر: دار ابن كثير، اليمامة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧-١٩٨٧، رقم الحديث: ٦١٠٦، ج٥. ص: ٢٣٧٦.

[٣] متفق عليه. (البخاري ومسلم) خ:٥٧٨٢، م: ٢٩٩٨.

ثالثاً: الاستعارة والكناية في الأحاديث النبوية من "الأربعين" للنووي

كما أشرنا في المقدمة أننا سنتناول الأحاديث النبوية المختارة على سبيل الأمثلة والشواهد وليس على سبيل الحصر، فهي كما يلي [١]:

الحديث الأول: النية، لفظ الحديث: "فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله" وفي هذا الحديث شاهدنا فن الكناية أي قصدا ونية متجردا فيها لله سبحانه وتعالى فهو كناية عن الإخلاص وكناية عن الصفة.

وشاهد آخر لقوله: "فهجرته إلى الله ورسوله" أي ثوابا وخير منزلة فالمعنى الذي يقصد وهو المعنى البعيد: شرف الهجرة وكونها بمكانة عند الله تعالى وكونها مرضية النتائج والمعنى القريب غير المقصود أن يهاجر المرء إلى بلاد فيه شعائر الله والالتحاف بركب الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المدينة[٢].والشاهد الآخر في هذا الحديث قوله (صلى الله عليه وسلم): "فمن كانت هجرته إلى الدنيا يصيبها" حيث شبه تحصيل الدنيا بإصابة الهدف بالهم بجميع السرعة في الوصول إلى المقصود، ففيه إستعارة مكنية حيث حذف مشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه الذي هو الإصابة. أي: "يصيبها" مستعار منه وهو اصابة الغرض أو الهدف بالسهم للرامي، والمستعار له هو تحصيل الشيء ونيله، فتحصيل أي غرض من اغراض الدنيا هو كإصابة الهدف بالسهم، والجامع بينهما حصول المقصود.

وشاهد آخر في هذا الحديث قوله (صلى الله عليه وسلم): "فهجرته إلى ما هاجر إليه". والملاحظ أنه لم يحدد ماله الهجرة بل أتى بهذا اللفظ المكنى عنه ويقصد به حقيقة الهجرة ولم يصرح باللفظ كما قال: (فهجرته إلى الله ورسوله) في أول الحديث ولعل السر في ذلك تحقير لشأن المكنى عنه والمعنى البعيد الكنائي الذي يطلبه العقل: الدنيا والمرأة فهي كناية عن موصوف, وهو الرجل الذي ادعى الهجرة مع الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في الأصل كان مهاجرا إلى محبوبته حتى أنه سمي مهاجر أم القيس. ومن روعة التلقي الكناية في هذا الحديث الذي يتوقف عليه أساس العمل إن النية أساس الدين وضرب مثال ذلك لمن يصلي جهرا أمام الناس ولكنه لا يصلي يقينا بها, وهذا يعتبر الرياء. "فهجرته إلى ما هاجر إليه " من الدنيا والمرأة وإن كان صورتها صورة الهجرة لله ولرسوله. وأورد الظاهر في الجملة الأولى تبركا بذكر الحق الله ورسوله عليه السلام تعظيما لهما بالتكرار وتركه هنا حثا على الإعراض عن الدنيا والنساء وذكرهما أبلغ في الزجر عن قصدهما.

الحديث الثاني: حوار جبريل مع النبي (صلى الله عليه وسلم) عن الإسلام والإيمان والإحسان وعلامات الساعة. ولفظ الحديث النبوي هو كما قال الراوي: "إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب".

[١] أخد الأحاديث من كتاب الأربعين النووية، النووي، أبو زكريا يحي بن شرف النووي، مصر–القاهرة: دار السلام.الطبعة الرابعة: ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

[٢] الصديقي. العلامة محمد بن علان. (١٤٠٥هـ). دليل الفالحين لطرق الصالحين. بيروت: دار العربي. ج١. ص ٤٢

ففي قوله: (إذ طلع) استعارة تصريحية، حيث شُبِّهَ ظهور الرجل بطلوع الشمس، إشعار بتعظيمه ورفعة قدره ثم اشتق من الطلوع الفعل طلع على سبيل الاستعارة التبعية.

وشاهد آخر قوله: (رجل شديد بياض الثياب) فالمعنى الظاهر من هذا السياق رجل يرتدي ثيابا بياضا ناصعا والمعنى الخفي المقصود والذي تطلبه الأفهام أنه كناية عن التجمل وحسن المنظر وجمال الطلعة فهو كناية عن نسبة.

وشاهد آخر قوله: (شديد سواد الشعر) إذ المعنى الظاهر ذو شعر أسود فحسب، ولكن اللفظ المكنى عنه وهو ما يقصد وهو المعنى غير الظاهر والمقصود أنه كناية عن الرجل شاب ليس يطرق رأسه المشيب وهو كناية عن نسبة. بإضافة شديد إلى ما بعده إضافة لفظية مقيدة للتخفيف فقط صفة رجل.

وشاهد آخر قوله: (يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة...) حيث شبه إقامة الصلاة باقامة العود على سبيل الاستعارة التصريحية إذ المقصود من هذه الصورة المداومة عليها والقيام بكل ما لها من أركان وواجبة وشروط.

وشاهد آخر قوله: (أن تلد الأمة ربتها وان ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاه يتطولون في البنيان) وعمنى هذه العلامات هم إخبار عن كثرة السراري، وأولادهن، ويتباهون في البنيان، ويتفاضلون في ارتفاعه وكثرته وتزيينه وهذه كلها معان ظاهر، ولكن المعنى والقصد الكنائي وما يحتاج لإعمال التفكير أن المقصود فساد أحوال الناس وتبدل الموازين والرخاء في العيش والذي به تفسه علاقة الناس بخالقهم والتطلع لما عنده. وهذه كناية عن موصوف.

الحديث الثالث: لفظ الحديث: (بني الإسلام على خمس) استعارة مكنية حيث شبه الإسلام ببناء له دعائم فذكر المشبه وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه الذي هو البناء.

الحديث الرابع: خلق الإنسان ومسيره الأخير. لفظ الحديث: (إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها) الشاهد قوله: (بينه وبينها إلا ذراع) واللفظ المكنى به يشير الى ساقة معروفة ومعلومة وهو معنى ظاهر والمعنى المكنى عنه والخفي وهو المراد تصوير القرب من الوقوع وقرب الأجل، وليس المعنى حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع في مرتبة العمل لأن عمله الذي عمله ليس عملا صالحا كما جاء في الحديث.وهذه كناية التمثيلية.

الحديث السادس: لفظ الحديث: (وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) وفي هذا الحديث شبه القلب بالمضغة أي قطعة من اللحم ثم استعير لفظها للقلب على سبيل الإستعارة التصريحية.

وشاهد آخر: دلالته المتأثر يصور لنا الحديث ملك الأعضاء ويخصه بمزيد العناية والاهتمام فقول الرسول (عليه الصلاة والسلام): "إذا صلحت" يفهم معه أن تلك المضغة صالحة لا يعتريها مرض أو سقم والمعنى المكنى عنه كناية عن سلامة القلب وحسن الإيمان فهو كناية عن الموصوف.

وشاهد آخر عن قوله عليه الصلاة والسلام: (صلح الجسد) معناها الظاهر والمكنى به أن الجسد سليم معافى من الأمراض والأسقام ولكن المعنى المراد والذي يكنى عنه والمعنى الخفي كناية عن ملازمة صاحبه للطاعة فهي كناية عن الموصوف.

شاهد آخر عن قوله عليه الصلاة والسلام: (فسدت) فامعنى أن هذا العضو أصاب العطب والضرر وحسب والمكنى عنه هو الذي تفكر في الذهن كناية عن الجحود والكفر بالله عز وجل فهي كناية عن موصوف.

شاهد آخر عن قوله عليه الصلاة والسلام: (فسد الجسد كله) فالمعنى القريب وغير المقصود أن الجسد كله مريض ولكن المعنى المراد والذي له عقدت الكناية عن ملازمة صاحب للمعصية والفجور فهي كناية عن الموصوف.

الحديث السابع: لفظ الحديث: (الدين النصيحة) وهذا مأخوذ من النصح وهو الخياطة فشبه عمل الناصح فيما يراه من إصلاح حال المنصوح له ثم استعيرت كلمة النصح لمعنى إصلاح حال الرجل ثم اشتق من النصح النصيحة على سبيل الاستعارة التصريحية[١].

الحديث العاشر: لفظ الحديث: (ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء) وقوله (أشعث أغبر) فالمعنى أنه ذو شعر متفرق أغبر من التراب والرحال وقطع المسافات في الأسفار وهو معنى ظاهر، والمعنى الذي يراد منه الكناية أنه غير مبال بشعره بل تدل الحال على زهده وبساطة أمره وهوما يجعله قريب من الله لتواضعه.

[١] الفيروز آبادي. القاموس المحيط. (معنى النصح)، دار البيان. الطبعة الثانية. ١٤٠٧هـ. ص ٣١٢.

الحديث الثامن عشر: لفظ الحديث: (وأتبع السيئة الحسنة تمحها) وهذا استعارة مكنية حيث شبهت الحسنة بانسان له خاصية المحو والإزالة ثم حذف المشبه به الذي هو الإنسان وبقي شيء من لوازمه ألا وهو المحو والإزالة على سبيل الاستعارة المكنية.

الحديث التاسع عشر: لفظ الحديث: (احفظ الله يحفظك) والمراد حفظ شرائع الله وأحكام دينه وعلى هذا فيه استعارة المكنية حيث شبهت الشرائع والأحكام بالشيء الذي يصان ويحفظ من الضياع والأذى ثم حذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الحفظ على سبيل الاستعارة المكنية.

وشاهد آخر: (رفعت الأقلام وجفت الصحف) المعنى المتبادر في الذهن التوقف عن الكتابة وأن ما كتب لم يمح والمعنى الذي تخفيه الكناية أن ما كتبه الله عز وجل قد انتهى فالأقلام رفعت والصحف جفت ولا تبديل لكلمات الله وهو معنى تأكيد عدم تغيير. فهي كناية عن صفة.

الحديث الثالث والعشرون: لفظ الحديث: (والحمد لله تملأ الميزان) هذه استعارة مكنية حيث شبه الحمد لله بجسم له حجم وحيز، وحذف المشبه به وأبقى له شيء من لوازمه الذي هو تملأ على سبيل الاستعارة المكنية.

وشاهد آخر: (كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها) حيث شبه الإنسان في هذه الدنيا بالتاجر الذي يبكر لتجارته عند الصباح وذلك لأن الإنسان تبدأ من حين يستيقظ فإما أن يقوم بالطاعة أو المعصية وحذف المشبه به وذكر ما يدل عليه وهو الغدو على سبيل الاستعارة المكنية.

الحديث الخامس والعشرون: لفظ الحديث: (وفي بضع أحدكم صدقة) فاللفظ المكنى به البضع والمعنى الظاهر أن البضع يطلق على عقد النكاح وقيل الجماع[١]. والمعنى الخفي والمقصود كما هو دال عليه سياق الحديث أنه يريد الفرج، ولكنه يكره التصريح بهذا اللفظ فعمد إلى الكناية وهي كناية عن موصوف.

الحديث الثامن والعشرون: لفظ الحديث: "وعظنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون.." والشاهد قوله وجلت منها القلوب، فالمعنى القريب الظاهر أنها خافت منها القلوب كما جاء على النفس المعنى قول الله عز وجل: (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم)[٢]. ولكن المعنى المكنى عنه هو شدة التأثر وبلوغ الانقياد والاستجابة مما سمع، وهذا المعنى الخفي الذي يستتر خلف المعنى الظاهر وهي كما تلاحظ كناية موصوف.

[١] ابن الأثير. ضياء الدين. (١٩٧٩). النهاية في غريب الحديث والأثر. بيروت: المكتبة العلمية. ج١. ص ٣٤٥.

[٢] سورة الأنفال: أية: ٢.

شاهد آخر: قوله (وذرفت منها العيون) أي ذرفت الدموع وهو معنى ظاهر والمعنى الخفي المقصود أي حصول البكاء من الموعظة وهي كناية عن صفة البكاء والرقة.

شاهد آخر: قوله (عضو عليها بالنواجذ) فهذا فيه استعارة مكنية وتمثيلية حيث شبه التمسك بالدين على نهج الأنبياء والصالحين وعدم التفريط والتعلم به بشيء يؤكل.

الحديث السادس والثلاثون: لفظ الحديث: (ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة) كلمة (يلتمس فيه علما) أي يطلب العلم حيشبه طلب العلم في إدراكه وتحصيله بشسء يلتمس لقصد العناية لتحصيله وطلبه وحذف المشبه به وأبقى ما يدل عليه وهو الفعل يلتمس على سبيل الاستعارة المكنية.

الحديث الثامن والثلاثون: لفظ الحديث (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب) فالمعنى الذي يفهم من اللفظ المكنى به أن هنالك حربا تدار جيوشا تساق وألوية تقعد وهو المعنى غير المقصود ولكنا ان هنالك من بين ذلك اللفظ وهو المقصود إذ المعنى أن الله يعاديه ويمقته ويخزيه وربما فهم منم لفظ الحرب الشناعة في محاربة الله لأوليائه وان الله اصطفاهم فهو وليهم فهو وليهم والذي تولاهم بحفظه وقوته.

الحديث الأربعون: لفظ الحديث (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء) فالمعنى الظاهر من هذا الحديث أن الرجل هو في ترقب لحركة الليل مع النهار وأنه قد لايدرك الليل إذ أصبح وقد لا يدرك الصباح إذا أمسى ولكن المعنى المكنى عنه وهو المقصود وغير الظاهر الإستعداد للموت والرحيل وهذا المعنى غير ظاهر في اللفظ ولكنه أخفاه عن طريق أسلوب الكناية لمزيد التأمل فيه وهي كناية عن الموصوف.

الحديث الثاني والأربعون: لفظ الحديث: "يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء"[١]. إذ المعنى المفهوم الظاهر أن الذنوب إذا ارتكبها صاحبها وتزايدت وسجلت والمعنى الخفي أنها كناية عن كثرتها وتعاظمها المولى جل وعلى وهي كناية عن موصوف.

وشاهد آخر: قوله: (لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة) والمعنى لو جئتني بما يقارب أو يملأ الأرض خطايا والمعنى غير الظاهر والمكنى عنه الكثرة في اقتراف المعاصي والسيئات فهي كناية عن صفة.

[١] عنان: السحاب بفتح العين، وقيل ما اعتلى من السماء. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثار. ج٣. ص ٣١٣.

وشاهد آخر: قوله: (بقرابها مغفرة) أي يقابل الله تلك الرزايا والمنكرات بالمغفرة والصفح وهذا المعنى وهو المعنى الظاهر ولكن الكناية تتوشح هذا اللفظ إذ المعنى الخفي التعبير عن سعة رحمة الله وعظيم غفرانه مهما بلغت ذنوبك أيها العبد وهي كناية عن صفة وهو مكنى عنه.

الخاتمة

إذن نقول في النهاية إن الاستعارة والكناية من الفنون البلاغية لهما مكانتهما البلاغية الخاصة، حيث أنها تعد من مظاهر الجمال الفني في الأعمال الأدبيه. ومن معطيات البلاغة فيها أنها تذكر الحقيقة مصحوبة بالدليل والبرهان فتقصى الكلام قوة وعمقا في التأثير. وسر آخر في هذا الفن البلاغي أنه لا يترك التصريح بالشيء إلى الكناية عنه في بليغ الكلام إلا لتوخي نكتة كالإيضاح أو بيان حال الموصوف، والمسلم به أن التلميح أجمل من التصريح في بعض المواطن من الكلام وفي المجمل تتشوق الصورة التعبيرية الإحائية على الصورة الوصفية المباشرة.

والاستعارة بأنواعها تعطى قيمة في الكلام، مثلا الاستعارة التصريحية تجسيد المعنويات في صور حسية يعبر بها عن المعنى الذهني أو الحالة النفسية مما يكون له الأثر البالغ في نفس المتلقي. ولما كانت الاستعارة التصريحية تحتاج إلى التأمل والتخيل فالاستعارة المكنية تكون حاجتها إلى هذه الأمور أكبر. وامتازت الإستعارة المكنية في الحديث النبوي بوظيفتي التجسيم والتشخيص، فجسمت الأمور المعنوية إلى زيادة التأمل بأوصافها ومعرفة أسرارها. والتشخيص في الحديث النبوي ذو غاية واضحة يهدف إلى تحقيقها ويرمي إليها وهي تحقيق الهدف الديني بالدرجة الاساس، وكذلك الإستعارة التمثيلية.

وتبين من خلال هذا البحث أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) استخدم أسلوب الاستعارة والكناية في مخاطبة الناس في كل الأمور المتعلقة بالحياة الدنيا وما بعد الحياة الدنيا، حيث أن الأمور المعنوية قد لا تفهم على حقيقتها التي وجدت عليها أو قد يكون فهمها ناقصا، ولكن من خلال المتشابهات ومقارنتها تكون تُقرب فهمها أكبر وأوسع. وهذا يدل على أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يؤثر التعبير التصويري على المعنى المجرد لما فيه من حيوية وتأثير في المخاطب. وعلى سبيل المثال قدمتُ على وجه شواهد في كتاب الحديث المسمى: (الأربعون النووي).

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن الأثير، ضياء الدين. (١٩٧٩). النهاية في غريب الحديث والأثر. بيروت: المكتبة العلمية.

البخاري. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي. (١٩٨٧). صحيح البخاري. ت: مصطفى ديب البغا. بيروت:دار ابن كثير.

البيهقي. أبو بكر أحمد بن الحسين. (د.ت). شعب الإيمان. تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، بيروت: دار الكتب العلمية

الجرجاني، عبد القاهر. (١٣٩٧هـ). دلائل الإعجاز. الرياض: طبعة دار المعارف.

الحموي، ياقوت بن عبدالله. (د.ت). معجم البلدان. دار الفكر.

الخطيب القزويني. (١٩٩٨). الإيضاح في علوم البلاغة. ت: الشيخ بهيج غزاوي. دار إحياء العلوم.

الخفاجي الحلبي. الأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان. (١٩٨٢). سر الفصاحة. بيروت: دار الكتب العلمية.

عتيق. عبد العزيز. (١٩٨٥). علم البيان. بيروت: دار النهضة العربية.

الفيروز آبادي. القاموس المحيط. (١٤٠٧هـ) . دار البيان. الطبعة الثانية.

النقراط. عبد الله. (٢٠٠٣). الشامل في اللغة العربية. ليبيا: دار الكتب الوطنية.

النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي. (٢٠٠٧). الأربعين النووية، القاهرة: دار السلام.

النيسابوري. مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري. (د.ت). صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.